إضاءة

من دير البلح، ومن دون فريقه الذي درّبه على مدار سنوات عديدة، يحكي الفنّان الفلسطيني لـ «العربي الجديد»، عبر رسائل صوتية، مسيرة نشر عرائس الدُّمى الجديدة، منذ الشهور الأولى لاندلاع حرب الإبادة على غزّة، وما تعنيه من تعزيز الصمود وفتح طاقة أمل

الدوحة ـ **محمد هديب**

مهدي كريرة مسرح الماريونيت ضدّ هندسة الفَناء

هكذا نطقت عرائس الدُّمى في دير البلح

أقام عرضاً على لوح «بلنكو» تشجيعاً للأطفال على صناعة العرائس وإعادة التدوير

العام الماضي، قدّم الفنّان الفلسطيني مهدي كريرة، مُنشئ مسرح عرائس الماريونيت (دُمى الخيوط) في غزّة في أحد الأيام المرضانية عرضاً بعنوان «كلام ريهام» مع فريقه «خيوط». كان ذلك في دير البلح، وقد أدّت العرائس أدوارها التمثيلية ورقصت وغنّت على الخشبة الصغيرة، ثم رجعت إلى مكانها، قاعلة مسافة 14 كيلومتراً نحو حي التفاح في غزّة. آخر العروض الرئيسية كان في نيسان/ أبريل عام 2023، قبل أن تُطبق حرب الإبادة على غزّة في خريف ذلك العام، فيصبح كريرة نازحاً هذه المرّة في دير البلح، يتقاسم احتمالات الحياة مع خمس عائلات في حيزهم الضيق، ومع مئات الآلاف في حيّز أضيق. قضى الفنّان عشرة أشهر حُسوماً، يرى البلد تتحوّل إلى اختزال جغرافيّ شمال الوادي وجنوبه، وإذا ما أتاح الإنترنت الضعيف رؤية قطاع غزّة في الخرائط التفاعلية، فستبدو مضيئة على الشاشة الإلكترونية، من الشمال إلى الجنوب، جغرافيّا مشطورة إلى شطرين على جانبي الوادي، وشطرين بخطّ اسمُه «نتساريم» وخطوط طولية مثل شارع صلاح الدين. لكنّها ليست كذلك بالعين المجرّدة، فكلّ متر مربع محكوم بصوت الزنّانة اللئيم المتواصل كلّ الوقت، وما يقطع هذا الصوت هو فقط الانفجار، كما قال كريرة في رسالة صوتية لـ «العربي الجديد»، في آخر نصّ مسرحيّ بالدارجة الغزّية يعمل كريرة على تنفيذه، يعاين الزمن الذي يمنح الحياة من خلال سماع صوت الانفجار، إذ اكتسب أحد الأطفال خبرة من والده مفادها أنّ سماع صوت الصاروخ يعني أنّنا بخير حتى الآن، لأنّ الصوت يقع بعد الانفجار. حاولنا الاتصال به مرّات عديدة، وفي كلّ مرّة كان صوت الزنانة هو الواضح بينما الكلمات متقطعة، لذلك وجدنا الحلّ في الرسائل الصوتية التي سيحكي عبرها مسيرة عرائس الماريونيت الجديدة. إن على العرائس أن تتحرّك، كما قال المسرحي الفرنسي بول كلوديل «ليس للدمية حياة إلا تلك التي تستمدّها من الحركة»، وهي في عين مهدي كريرة صورة الكائن البشري الذي صنعها لتكون مثاله، تعيش كأنّها حرّة وتستمدّ وجودها منه ويستمدّ هو دليله على البقاء بالمعنى الجمالي، لا فقط البيولوجي. شاهدنا العرائس كأنّها ناجية من قيامة، فقد كانت في الشهور الأولى من الحرب الهمجية غير مخترفة في استكشاف وسرديات مسرحية، كما هي الحال على الخشبات التي عهدناها، خصوصاً في مركز «هولست» الثقافي في حي التفاح، وقد أسّسه النرويجيون عام 1998.

رأينا مهدي كريرة يصنع الماريونيت من مخلّفات الحرب ومعلّبات الإعانة، فتجد علب الفول والبازيلاء والمرتديلا والسمن وغيرها مساهمة في بناء أجساد الشخصيات التي تؤدي استكشاف بسيطة للأطفال. تقف العرائس في مراكز إيواء النازحين في دير البلح، كأنّما تثبت وجودها من دون الإمكانيات التي كانت متوافرة سابقاً، وهذا جعل التجربة محفوفة بالتعاطف والترحيب وهي تُقدَّم على مسرح ترابي يقف محرّكو الماريونيت خلف حاجز خشبي بسيط، فقير فعلاً، لا كما يفيدنا به مصطلح «المسرح الفقير». يقول كريرة لـ «العربي الجديد» إنّ مناقشة جرت قبل العروض اتّخذتْ على إثرها قراراً بعدم طلي العلب بالألوان لغياب الإمكانيات، وكذلك لتشجيع الأطفال على إعادة تدوير ما يعثرون عليه من علب لصناعة عرائسهم الخاصة، وإكسابهم من ثمّ خبرة أوليّة في هذا الفن.

وجد نفسه في دير البلح من دون فريقه المكوّن من 15 شابّاً وشابّة درّبهم على مدار سنوات على الصناعة والتحريك إضافة إلى شركائه الآخرين في الرسم، ومونتاج الصوت، والموسيقى، والديكور، والأزياء، وكتابة النصوص والإخراج. في 2016، قدّم كريرة أوّل استكشافاته، وفي 2018 أوّل عمل مسرحيّ بعنوان «أبيض أسود»، وهو عن مهاجرين تاهوا في البحر وتجمّعوا على صخرة في عرض الماء ليحكي كلّ واحد حكايته. بدأ الانخراط في صناعة عرائس الماريونيت، مستفيداً من فنّانين فلسطينيّين في القدس وبعض المراكز الثقافية في الضفّة الغربية وفنّانين في مصر لهم باع طويل في المجال. ولكي تصبح العملية مسرحاً كان ينبغي أن يتقاسم مساره الفنّي مع شركائه ممن تعاون معهم أو درّبهم، مؤمناً بأنّ هذا الفن لا يمكن لفرد الادعاء بحمله وحده.

خلال هذه السنوات أنجز مع فريقه عشرة أعمال وكان طموحه تأسيس مسرح متجوّل في شاحنة تجوب القطاع مع مركز رعاية المواهب، ضمن حراك مسرحي بشري ومسرح خيال الظل الذي وجد أيضاً جمهوراً له. وقبل الحرب كانت لديه مساع بعد انتشار أعمال فريق «خيوط» سواء المسرحية الخيالية أو التوجيهية بالتعاون مع مؤسسات مجتمعية في قضايا الأسرة والتسرّب المدرسي والتنمر وتشجيع القراءة والتوعية الصحية ومن ذلك فترة جائحة كورونا، وصولاً إلى تحضيرات لمسلسل تلفزيوني للدمى. اضطر مع عائلته إلى النزوح لتبدأ حكاية المرض والجوع وقلة الحيلة، قائلاً إنّ «البحث عن النجاة أتعبنا» ومع ذلك المسرح هو الحياة الطبيعية التي عليها أن تجترح وجودها في ظروف قهرية، وأوّل ما فكّر فيه هو نشر الدُّمى في المحيط وتعويد الأطفال على وجود ضيوف من الخشب والكرتون والمعلبات، ومخلفات الحرب مثل الفوم الأصفر في الثلاجات وحبوش الذي يحبّ الموسيقى، وأبو فجلة بياع الخضروات وغيرهم من الشخوص المشهورين على مسرح الدمى. في مواجهة الموت لا تتقدّم أولوية على حياة الناس، وهو يفكر في أنّ الدفاع عن الحياة فن أيضاً، بالمعنى الذي يجعل من الفن صورتنا الوجودية العابرة للزمن، متمثّلاً المقطع الشعري لمحمود درويش «هزمتك يا موتُ الفنون جميعها»، مضيفاً أنّ الأشياء من اليوم الصور إلى محلّ الفلافل الصغير إلى المساكن وهي تتحوّل في غمضة عينٍ إلى أحشاء عبثية، كل هذه ليست أشياء وهي كلها سطور مكتوبة على التراب والهواء.

من الفريق المتشظّي في نزوحات مختلفة سيأتيه خبر من زميلة في فريق «خيوط» يفيد بأنّ «مركز هولست» لم يدمّر حتى الآن، ما يعني أنّ العرائس ربما ما زالت بخير. يعطيه هذا دافعاً جديداً ليوم جديد جمع فيه الأطفال ليروا إمكانية الحياة، وهو يقول بصوت متحشرج في إحدى الرسائل الصوتية إنّه فقد أكثر من ستّين شهيداً من عائلته، ولكن رؤية الأطفال وهم يتجمّعون على التراب لمشاهدة عرض من أدوات الخراب هي محاولة ينبغي أن تستمر. بسبب فقدانه إمكانية العودة إلى حي الدرج، كانت الشهور الماضية امتحاناً عصيباً من احتمال الموت في أربعة فصول، كل فصل منها له طرقه في البقاء، لكن الموت واحد. كانت حاجته ماسة إلى الخشب في دير البلح، وبصعوبة عثر على نجار كي يقصّ له الخشب، بالشكل الذي يريد، وكذلك صعوبة أن تتوافر كهرباء إذا ما وافق النجار، ثم جمعها في الحوش والتفكير في إمكانية العثور على مواد أخرى بديلة. لا بدّ من صليب خشبي هو الهيكل العظمي الأولي الذي تنهض منه عروس الماريونيت، وتتعلّم الكلام. ويواصل بضحكة صغيرة أنّه في الصباح فوجئ بأن ثمّة من «يسرق» خشب العرائس لاستعماله حطباً للتدفئة في البرد القارس أو لطبخ طعام له ولأطفاله.

ويحكي القصة في مزيج من المزاح والعتب والتفهّم لحاجة الناس لتسخين حليب لطفل أو قلي حبة بطاطا، غير قادر على الإتيان بأي ردّ خشن لمن يضطر إلى ذلك، لكن تكرار «السرقات» جعله يستأذن من يجاورونه بأن يأخذوا حصتهم ويتركوا له بعض الخشب من أجل العرائس. بعد هذا تذكّر أن العرائس العزيزة على قلبه في «مركز هولست» في حي التفاح، وطوال هذه الشهور لا يعرف مصيرها، فإذا لم تحترق في قصف بات ممكناً أن هناك من احتاجها حطباً قبل أيام حاولنا الاتصال به مجدداً أكثر من مرّة، فوجدناه قد نزح من جديد مغادراً البيت المهدّد بالقصف إلى مخزن على الشارع يصلح لأن يكون دكاناً، ولكنّه الآن بات مسكن أسرته، والباب الذي يدفع للأعلى عليه أن يكون مشقوقاً حتى يحصلوا على شيء من الهواء.

وبأسىً يقول إنّ هذا ترف مقابل من يسكن في العراء تحت خيمة قماش. وللدفاع عن العرائس اضطر لنصب خيمة صغيرة قريبة من الشاطئ كي تكون مقراً لها وقد جاهد في صنعها من خشب عزيز ومخلّفات الحرب والعلب الفارغة، غير أن المخزن لا يتسع لأفراد الأسرة والعرائس معاً.

ومن دير البلح أخذت التجربة حظّها من الحياة من غزّة إلى العالم عبر فيلم بعنوان «صبايا»، ضمن 22 فيلماً قصيراً من أفلام «المسافة صفر» التي بادر إليها وأشرف عليها المخرج رشيد مشهراوي، وهي تزور الآن مهرجانات عربية وأجنبية بدأت من «مهرجان عمّان السينمائي» مطلع هذا الشهر. لقد أبدى كريرة فرحه لأن مرّة بأنه استطاع أخيراً تحريك الفك السفلي للدمية لتبدو طبيعية في ظروف وإمكانيات صعبة، حيث المواد الخام بالكاد تسمح بشكل أولي للعرائس. هكذا نطقت عروس الماريونيت أخيراً على مسرح دؤوب يقول إن هذه هي هندستنا المعمارية لأرواحنا ضدّ هندسة الفَناء التي لا ترانا إلّا من خلال أزرار وإحداثيات قلّ نظيرها في تاريخ الجريمة.

من خشب عزيز

يقول الفنان الفلسطيني مهدي كريرة لـ«العربي الجديد» إنه اضطر لنصب خيمة صغيرة قريبة من الشاطئ كي تكون مقرا لها، وقد جاهد في صنعها من خشب عزيز ومخلّفات الحرب والعلب الفارغة، غير ان المخزن لا يتسع لافراد الاسرة والعرائس معا. لكن رغم الصعوبات بيدي كريرة فرحه، فقد استطاع اخيرا تحريك الفك السفلي للدمية، لتبدو طبيعية في ظروف وامكانيات صعبة، فالمواد الخام بالكاد تسمح بصناعة شكل أوّلي للعرائس.

استمر بعروضه رغم استشهاد أكثر من ستين فرداً من عائلته

متابعة

منشورات لفلسطين دعم القضيّة في سياق بلجيكي

كلّ الأيدي على رقبة الاحتلال

تحشد الحَملة، التي أطلقها مؤخّراً فنّانون مقيمون في بلجيكا، مُتابعيها لدعم قضيّة فلسطين عبر مُلصقات تنشرها في الفضاءين العام والافتراضي

يزن التميمي

من أوسع وسائل التضامن مع القضيّة الفلسطينية انتشاراً في الآونة الأخيرة، هو استخدام الملصقات التي تحمل عبارات مُختصرة أو صوراً تعبيرية، خصوصاً تلك التي تُظهر العَلَم الفلسطيني أو أي تشكيل فنّي يُشير إلى الوِلاء، حيث يكاد لا يخلو منها شارع أو محطّة قطار أو سُور أو عمود إنارة في أيّ مدينة أوروبية كبيرة. مع بداية العُدوان انتشرت هذه المُلصقات بطريقة عفوية، حيث صمّمها وطبعها ووزّعها متطوّعون، يعلّقونها بأنفسهم في الشوارع أو يوزّعونها على المتظاهرين في المسيرات المتضامنة مع فلسطين، وهناك من أحبّ أن ينقل هذه التجربة برمزيتها التضامنية، والتي عبّأت الفضاء العام بصُور من أجل العرائس. بعد هذا تذكّر أن العرائس العزيزة على قلبه في «مركز هولست» في حي التفاح، وطوال هذه الشهور لا يعرف مصيرها، فإذا لم تحترق في قصف بات ممكناً أن هناك من احتاجها حطباً قبل أيام حاولنا الاتصال به مجدداً أكثر من مرّة، فوجدناه قد نزح من جديد مغادراً البيت المهدّد بالقصف إلى مخزن على الشارع يصلح لأن يكون دكاناً، ولكنّه الآن بات مسكن أسرته، والباب الذي يدفع للأعلى عليه أن يكون مشقوقاً حتى يحصلوا على شيء من الهواء.

وبأسىً يقول إنّ هذا ترف مقابل من يسكن في العراء تحت خيمة قماش. وللدفاع عن العرائس اضطر لنصب خيمة صغيرة قريبة من الشاطئ كي تكون مقراً لها وقد جاهد في صنعها من خشب عزيز ومخلّفات الحرب والعلب الفارغة، غير أن المخزن لا يتسع لأفراد الأسرة والعرائس معاً.

ومن دير البلح أخذت التجربة حظّها من الحياة من غزّة إلى العالم عبر فيلم بعنوان «صبايا»، ضمن 22 فيلماً قصيراً من أفلام «المسافة صفر» التي بادر إليها وأشرف عليها المخرج رشيد مشهراوي، وهي تزور الآن مهرجانات عربية وأجنبية بدأت من «مهرجان عمّان السينمائي» مطلع هذا الشهر. لقد أبدى كريرة فرحه لأن مرّة بأنه استطاع أخيراً تحريك الفك السفلي للدمية لتبدو طبيعية في ظروف وإمكانيات صعبة، حيث المواد الخام بالكاد تسمح بشكل أولي للعرائس. هكذا نطقت عروس الماريونيت أخيراً على مسرح دؤوب يقول إن هذه هي هندستنا المعمارية لأرواحنا ضدّ هندسة الفَناء التي لا ترانا إلّا من خلال أزرار وإحداثيات قلّ نظيرها في تاريخ الجريمة.

أمّا عن شروط قبول المُلصقات في الحَملة فيلخّصونها بأن تكون الأعمال حقيقية وتُمثّل صورة شخصية لا مُولّدة عن طريق الذكاء الاصطناعي، وأنّ شعار «وقف إطلاق النار فوراً» وحده غير مقبول، وليس كافياً، «نحن نريد فلسطين حرّة، وإنهاء الاستعمار الإحلالي، وإنهاء الاحتلال الدموي، واسترجاع الأراضي وإيقاف الصهيونية»، وألّا تحمل عبارات مُرحة أو مُضحكة، نظراً لصعوبة الوضع في هذه الأوقات، وعدم إضافة الجولان السوري إلى خارطة فلسطين، حيث إنّ الجولان جزء من الأراضي السورية التي احتلّتها «إسرائيل»، وليس جزءاً من فلسطين، وعدم إضافة تجمة داود إلى المُلصقات إلّا إذا كانت جزءاً من عَلَم الدولة الصهيونية، وذلك حتى لا يتمّ ربط المُلصق بمُعاداة السامية.

وأكّد الفنّانون القائمون على «منشورات لفلسطين» ضرورة أن تحمل المُلصقات «رسالة واضحة»، وأن تُسمّى الأشياء بأسمائها: استعمار إحلالي، حرب إبادة، احتلال دموي وأن تُدعى الناس إلى التحرّك «فنحن لا نريد مُجرّد أعين على فلسطين أو غزّة أو رفح نحن نريد الأيدي على عنق إسرائيل».

وقد أعدّ الفنّانون الأربعة قائمةً ببعض الموضوعات التي يقترحونها على من يُحبّ أن يُشارك، وأهمّها الدعوة إلى التركيز على كلّ ما يحصل في فلسطين وليس فقط غزّة، وأن تتضمّن أعمالهم ذِكراً لأحداث مفصلية في تاريخ القضية الفلسطينية مثل «وعد بلفور» (1917)، وقرار التقسيم (1947)، ونكبة عام 1948، وانتفاضة الحجارة عام 1987، وانتفاضة الأقصى عام 2000، مع التركيز على قضايا حقوقية وإنسانية عينها مثل استهداف الصحافيّين والأطبّاء بشكل مُتعمّد، أو تدمير التراث الثقافي أو العبث بالنظام البيئي في فلسطين، بالإضافة إلى لفْت النظر إلى العمل الفاعل مثل حملات المقاطعة أو انتفاضات الطلّاب في مدن مختلفة حول العالم.

وبالفعل تنوّعت المشاركات في الأسلوب والمحتوى، فقد تمّت إعادة إحياء لرموز فلسطينية تاريخية عديدة أهمّها «حنظلة»، ولوحات مُختلفة لرسّامين فلسطينيّين، أعاد المشاركون اكتشافها وحوّلوها إلى ملصقات يتم تداولها وتوزيعها، كما برز العديد من الرموز الجديدة والأعمال الفنّية المُبتكرة، والتي تكون في أحيان عديدة، ردّاً مباشراً لحدث أو مجزرة وقعت في غزّة، يُترجمه المشاركون إلى عمل فنّي، كلٌّ حسب قُدراته، فهناك الأعمال الاحترافية وهناك أعمال بسيطة لكنها مهمّة من حيث الأفكار التي تتضمّنها.

وقد ركّزت بعض المشاركات في هذه الفعالية على إعادة تصوير بعض المشاهد القاسية جدّاً التي تخرج بشكل مُتواصل من قطاع غزّة، لكن يصعب على كثير من الناس تداولها أو مجرّد النظر إليها، لما تحمله من فظاعة تفوق تحمُّل البشر وقدرتهم على استيعاب حصولها بشكل دوري منذ قرابة العشرة أشهر. لكن هناك ضرورة أخلاقية للنظر ومتابعة ما يحدث في غزّة رغم أنّ الإنسان يضعف ويتألّم ويتأذّى نفسياً من هذه الصور، كي يظلّ ما تبقّى من ضمير العالم يقظاً ومتحفزاً ويُسخّر كلّ ما يستطيعه لإيقاف هذه الإبادة ومُحاسبة مرتكبيها، وهذه المُلصقات قدّمت حلّاً مناسباً لئلّا ينغفي الناس عن متابعة ما يحصل في فلسطين، بحيث تدلّ هذه الصور على قصصها الأصلية من دون أن تكون حاضرةً بقسوتها المباشرة، وبذلك يقوى من ضعُف على مشاركتها ونشرها والتذكير باستمراريتها.

تنضمّ «منشورات لفلسطين» إلى مئات الحملات والمبادرات التطوّعية، التي يُنظّمها ويتفاعل معها بشكل عفوي عشرات الآلاف حول العالم، لرفع الأصوات التي تدعو لوقف الحرب ومحاسبة الاحتلال، فرغم كلّ القيود على المحتوى، ورغم محاولات القمع للمسيرات والمُظاهرات حول العالم، وابتزاز وتخويف الفنّانين والإعلاميّين والكتّاب على اختلاف مجالاتهم، إلّا أنّ هؤلاء ما زالوا يجدون طرقاً إبداعية يصلون من خلالها إلى الناس ويُبقون القضية حيّة حاضرةً لا تغيب عن الأذهان.

واللافت في «منشورات لفلسطين» بالذات هو الوعي الذي يُديره بها القائمون عليها، فهُم لا يريدون الاكتفاء بتضامن صُوري لا يستند إلى ثقافة ومعرفة واسعتين بالقضية الفلسطينية وأبعادها التاريخية والسياسية، بدلّ على ذلك الإصرار على تجنُّب الأخطاء حتى لو كانت غير مقصودة، بالإضافة إلى تأكيد ما يرونه «تسمية الأشياء بأسمائها»، وذلك للدفع بإدانة الاحتلال وإحداث تغيير عادل للواقع الفلسطيني، لا الاكتفاء بالتباكي عليه.

طلّاب «جامعة بروكسل الحرّة» في وقفة مُندّدة بالإبادة، 7 حزيران/ يونيو 2024 (Getty)

هموم شعرية

إخلاصٌ للإنسان أولاً وللغة

عبد المحسن يوسف

تقف هذه الزاوية مع شاعر عربي في علاقته مع قارئه وخصوصيات صنعته ولا سيما واقع نشر الشعر العربي المعاصر ومقروئيته

جازان (السعودية) ـ **العربي الجديد**

عبد المحسن يوسف

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

كيف يصمتُ هذا العالم على الفظاعات العلنيّة التي يرتكبُها هذا الكيانُ اللّقيط بحقّ الشعب الفلسطيني، بل كيف يؤيّدها ويبرّرها، فيما يدّعي أنّه «المتحضّر الأول»، وأنّه «الراعي الوحيد» لقيم العدالة والمساواة وحقوق الإنسان؟ ذلك هو الهاجسُ الذي يلحّ عليّ طويلاً ويثقبُ قلبي.

■ مَن قارئك؟ وهل تعتبر نفسك شاعراً مقروءاً؟

قارئي هو ذلك المجهولُ الجميلُ الذي يقبعُ في الصّمت والعتمة والظلال. أقولُ قولي هذا، لأنّني لا أمتلك أدوات تعدّ ولا وسائل تحصى.

■ كيف هي علاقتك مع الناشر، هل لديك ناشر وهل هو الناشر الذي تحلم به لشعرك؟

صديقي الدكتور هاني الصلوي صاحب «مؤسّسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر» في القاهرة، أزعم أنه ناشري، لأنّه طبع لي أربعة من كتبي الخمسة. لم يأخذ مني ريالاً واحداً. لم نكتب عقوداً، ولم نبرم شروطاً، ولم أحصل منه على ما أريد من نسخٍ سوى النزر اليسير! أغضبُ منه بحدّة، لأنّه، للأسف، لا يذهب بإصدارات «أروقته» إلى حيث تُقامُ معارض الكتب استجابة للكسل والمزاج. أمّا ديواني الأخير «مطرٌ كسولٌ على الباب»، الذي صدر عام 2023 عن «دار أدب» بالرياض، فقد كان محظوظاً على مستويات عديدة، منها: الإخراج الرائع، والتوزيع الجيّد، والحضور في معارض الكتب. وهنا لا يسعني إلّا أن أصف «دار أدب» بأنّها دار نشرٍ محترمة تُنصِفُ المطبوعَ وصاحبه، وأنّها تفعل ما تقول.

■ كيف تنظر إلى النشر في المجلات والجرائد والمواقع؟

هذه المنابر مهمة، لا يستغني عنها أي كاتب يبحث عن الانتشار. صحيح كانت بعضُ هذه المنابر -في سنوات مضت- ترفض نشر ما تراه يشكّل خطراً على قيم المجتمع، وتحذف ما لا يروق لها ولا يروق للرقيب. راهنا أرى أنّ الهامش بدا أكثر تسامحاً ورحابة، لكنّ المشكلة «العويصة» تكمن في أنّ العديد من هذه المنابر تعتذر عن منح الكاتب حقوقه المالية، بذريعة أنّها تعاني من انحسار الإعلان في زمن سطوة الإعلام الرقمي الجديد المُنافس.

■ هل تنشر شعرك على وسائل التواصل الاجتماعي، وكيف ترى تأثير ذلك في كتابتك أو كتابة زملائك ممن ينشرون شعرهم على وسائل التواصل؟

نعم، أملك منذ سنوات صفحة على «فيسبوك»، وأرى أنّها جسر رائع للتواصل مع الأصدقاء المثقّفين والكتّاب والمبدعين في مجالات عديدة، وهي كذلك جسر رائع للتواصل مع قرّاء مقترضين. حين أنشرُ نصوصي المقتنع بها أرى تفاعلاً مباشراً واستجابة سريعة، وأوهمُ نفسي بأنّ ذلك احتكاكٌ حقيقيٌ، والله أعلم.

■ مَن قارئ الشعر العربي اليوم في رأيك؟

قارئ الشعر اليوم هو كلّ عاشقٍ للكلمة الجميلة. هكذا أتوهّم، وهكذا أمضي بعيداً في صحراء أوهامي التي لا تُحد.

■ هل توافق أن الشعر المترجم من اللغات الأخرى هو اليوم أكثر مقروئية من الشعر العربي، ولماذا؟

ربما أميلُ ميلاً طفيفاً إلى هذا الرأي. بحدث ذلك بسبب رحيل الشعراء العرب الكبار عن مسرح الشعر والحياة معاً، ويحدث أيضاً بسبب رداءة الكثير مما يُكتب ويُنشر راهناً، في حين يظن أصحابه أنّه شعر، وهو في الحقيقة ليس سوى هراء.

■ ما مزايا الشعر العربي الأساسية وما نقاط ضعفه؟

الشعر الذي يلمس أسئلة وجوهرَ «الوجود» هو الذي يبقى ويمكث في القلب والذاكرة. قليلٌ من الشعر العربي ظلّ متوهجاً وخالداً لأنه كذلك، وذلك لعمري أجمل مزاياه.

■ شاعر عربي تعتقد بأن من المهم استعادته الآن؟

ليس شاعراً واحداً، لكن وأمام سؤالك هذا سأقول بكل طلاقة: أمل دنقل.

وأرى أنّ من حقي أن أضيف أمنية مفادها: استعادة تجربة «الشعراء الصعاليك»، فهي من وجهة نظري المتواضعة جدّاً تجربة عميقة، وفريدة، ومغايرة في الشعر والحياة.

■ ما الذي تتمناه للشعر العربي؟

أن يتخلّص دائماً من «الشعار الذي انتصر على الشعر»، كما قال درويش ذات شجاعة متأخّرة، وأن يتخلّص من الغموض الذي لا مبرر له، وأن يكون مخلصاً للإنسان أولاً وللّغة.

بطاقة

شاعر وكاتب سعودي من مواليد جزيرة فرسان بمنطقة جازان عام 1962. حاصل على إجازة في الإعلام من «جامعة الملك عبد العزيز» في جدة. عمل في الصحافة، وكان مدير تحرير «عكاظ» الأسبوعية. له في الشعر: «نخيلُكِ مُثقَلٌ، يداي فارغتان» و«ما يشبهُ آمالاً زهيدة» (2015)، و«مطرٌ كسولٌ على الباب» (2023).

فعاليات

عند السادسة من مساء غدٍ الجمعة، يعقد «منتدى صُوَر الثقافي» ندوة نقاشية لكتاب **في نقد الحرب الأهلية** للباحث اللبناني **محمد علي مقلّد** (الصورة/ 1947)، ويتحدّث فيها الباحثان **ميشال الشماعي** و**حارث سليمان**. من مؤلّفات مقلّد: «الشعر والصراع الإيديولوجي» (1996)، و«اليسار بين الإنقاذ والانقاض» (2005).

ينظّم فضاء «جدل للمعرفة والثّقافة» في عمّان، عند السادسة والنصف من مساء الاربعاء المُقبل، ورشة تفاعليّة حول فكرة ومنهج عمل **متحف الرّأسماليّة** الذي تأسّس عام 2012 في بلجيكا. تهدف الورشة إلى التعريف بنشأة المتحف، والغاية منه، وطريقة عمله، وإدارة المتطوّعين فيه، وبناء تصوّر مشترك حول **مفهوم الرّأسماليّة، من خلال نهج تفاعلي بين المشاركين.**

إضاءة على ظلام السجون عنوان ندوة تنتظم، عند السادسة من مساء اليوم الخميس، في مؤسسة «كيان» بحيفا المُحتلّة، وتُشارك فيها الحقوقيّتان: **جنان عبده** و**ناريمان شحادة** (الصورة)، وتُحاورهما **ليان درويني**. تتناول الندوة أوضاع الاسرى في سجون الاحتلال بعد السابع من اكتوبر، وتعرض شهادات حول التعرّض للتعذيب.

عند الثامنة من مساء 31 الشهر الجاري تقدّم فرقة **صحبة سمسمية** حفلاً موسيقياً غنائياً في «ساحة روابط للفنون» بالقاهرة. تأسّست الفرقة، التي يقودها العازف احمد عشري، في بورسعيد عام 2015، وتهدف إلى **إحياء تراث العزف على آلة السِّمسمية الوترية** التي ترتبط بأغنيات البحّارة التراثية في المدينة المصرية.

ثقافة

تخصّص «العربي الجديد» صفحة «نصوص الحياة والحرب من غزّة» لشعراء وروائيين ومسرحيين وفنانين من قطاع غزة، كي يعبّروا عن تفاصيل الحياة اليومية تحت القصف الإسرائيلي. هي نصوص تقول الحياة والإنسان من قلب الموت

نصوص الحياة والحرب من غزّة

حسن القطراوي كاتب

توتو تحت الأنقاض

مرحبًا عزيزي
ربّما لا تعرف الحقيقة الكاملة عن الحرب في غزّة، فالحرب ليست دماءً هنا أو استغاثة هناك وانتهى الأمر، الحرب أكثر من ذلك بكثير يا صديقي، الحرب هنا تُشبه الدقائق الأولى من يوم القيامة، والحقيقة أن لا فرق كبيرا بين حرب غزة ويوم القيامة عدا فرق وحيد، أن الجميع يوم القيامة يكون مشغولاً بنفسه، أمّا هذه الحرب فالكلّ مشغول بعائلته فقط، الشهداء هنا يرحلون دون وداع، الوداع يا عزيزي رفاهيّة الموت البطيء، في غزّة الموت سريع جدًا، محظوظ من يحظى بوداع صغير، فالوداع الصغير يؤجل الاشتياق الكبير.
أكتبُ إليك هذه الكلمات وغزّة تُمطِر نارًا بلا توقّف طوال الليل، كأن السماء مثقوبة من جهة الجحيم، وتتساقط فوقنا حِمم النّار، المؤسف في هذه الحرب يا صديقي أن الموت في النهار أجمل من الموت في الليل، لأن وهج الصاروخ في النهار يخبو أمام وهج الشمس، فنموت دون رُعب اللحظة الأخيرة بعد الضوء المُخيف، أمّا الصوت فليس مخيفًا كثيرًا، لأن الأموات لا يسمعونه على أيّ حال، عكس الأحياء الذين يشعرون بالراحة لسماعِه، فسماع صوت الصاروخ يعني أنّك نجوت هذه المرّة، أعرف أنها تفسيرات غبيّة لمعنى الحياة لكنّها الحقيقة، صوت الصاروخ يعني أنّنا ما زلنا على قيد الحياة، بهذه الوضاعة نفسّر بقاءنا، لا تستغرب!
الصوت ليس مخيفًا يقول معظم الناس، المُخيف في الصاروخ ضوؤه، فالضوء له أشباه كثيرة، جميعها مؤذية للقلب قبل العين، اللون الأحمر منه يُشبه الدم الطازج الذي يملأ الشوارع والنوافذ والشاشات، أمّا اللون البرتقالي فيُشبه النار المُشتعِلة تحت قدور الوجع في خيام النازحين، فيكرر عليك مشاهِد المأساة كل يوم، نحب الصاروخ الذي يقتلنا بلا ضوء، الأضواء في العالم جميلة ومبهجة، لكنّها في غزّة وقحة وقاتلة.

مرحبًا صديقي توتو؛
أنا بخير إن كُنت تسأل عنّي، رغم أنّك لا تفعلها كثيرًا كعادتك، لكن لا بأس، المهم أنّني ما زلت وفيًا لك، أخبر الناس بقصّتك المُخيفة التي منعتني من مجرّد النوم، أحدّثهم عن الحرب القذرة التي أجبرتك على الرّحيل، وأجبرت جسدك الناعِم على البقاء تحت الأنقاض لنصف عام، لا تقلق يا صديقي، أخبرني الشيخ أن جسدك سيعود كما كان ولن يسرقه الأوغاد، كُن واثقًا من هذا، وتأكّد من حُبّي لك ولن تُغادرني، أقرأ عليك السلام كلما مررتُ بضريحك العظيم، وأتذكّر ضحكاتك الأخيرة وأنت تُعانقني كالعائدين من جبهات القتال بعد انتصار كبير، وتضحك مُباركًا دعائي؛ نجوت من مرضي يا صديقي، كأنّك تقول.
أتذكّر فرحتي يوم خروجك من المستشفى بعد مرضك العنيف، يومها شعرت برعشة قويّة في قلبي، تُشبه الرعشة التي تحدث للحبيب بعد رؤية حُب قديم، كانت سعادتي غامرة حين رأيتك تستعيد شيئًا من عافيتك الممزوجة بضحكاتك القديمة، لا تعرف يا صديقي كم كانت فرحتي حين رأيتك تضحك مرّةً أخرى عارمة، كأنها انبعاث للإنسانيّة من رحم المسيح، يقرأ عليها محمد، ويُباركها إبراهيم، لقد رأيت الإنسانيّة في ضحكتك يا توتو، فإن لم تكُن الإنسانيّة في ضحكتك، فأين تكون؟
مهلًا، ألا تعرفون توتو؟
حسنًا؛ توتو هو صديقي العظيم الذي عاش حياته مسكينًا لا يملك سوى ابتسامته الكبيرة، يُرسلها للجميع دون استثناء، فهي سلاحه الوحيد الذي يستخدمه للنجاة من عقوق الأشرار، يوزّعها للناس بكثرة دون حاجة أو سبب، ابتسامته بمثابة تأشيرة دخول لقلوب الناس ببساطة دون تعقيد، توتو العظيم لا يعرف الكيد والحسد والكُره والضغينة، أبيض من الداخِل ككرة الثلج، العالم في نظره ضحكات متتالية، من يبادله الضحكات يُصبح صديقًا له في لحظة، ومن يُحزنه يُصبح عدوّه إلى الأبد، يحزن العالم لحُزن توتو، وحين يضحك، الكون كلّه يضحك معه. يوم رحل انطفأت ضحكات العالم، هكذا شعرت.
قبل الحرب لم أكُن أفارقه، أجلس معه كل ليلة لأستعيد شيئًا من ضحكاتي المكتومة في أعماق قلبي، هو الوحيد القادر على إنقاذها من الغرق واستعادة أنفاسي الأخيرة، بعد رحيله عرفت أن الحياة بحاجة لتوتو أكثر من حاجته إليها، فالحياة الفارغة من قلب توتو، فارغة من الإنسانيّة والجمال.
في حارتنا الباكية كان فاكهة الدنيا، يوم رحل أظلمت فجأة، كأن الشمس سقطت في أعماق المحيط، عندها أدركت ماذا يعني الضوء الأخير، يرحل الأحبّة كأرجوحة من طرفين، ينخفض أحدها ويعلو الآخر، يسقط الصاروخ فيرتفع الشهداء، حين يرتفعون لا يتذكّرون شيئًا سِوى الضوء الأخير، فيظنونه شعاع النور الذي جذبهم بقوة نحو السماء، يرحلون ولا يعرفون حجم المأساة التي أورثونا إيّاها في الأرض، وحدنا من يعرف ويرى.
قبل رحيل توتو إلى السماء بساعات قليلة، جلسنا معًا نضحك سويًا بصوتٍ عالٍ كأنها حفلة وداع، نقول أشياءً تنفع لإصلاح العالم من الكآبة البائِنة في شوارعه، وعلاجه من الكذب الذي يملأ صدره، توتو هو الإنسان الوحيد القادر على قتل الكآبة بالفرح، والحُزن بالسعادة، صدّقني أن العالم يُصبح جميلاً حين يبدأ توتو بالضحك، تشعُر أن الجنّة نزلت إلى الأرض.
من الصعب جدًا أن أجد تشبيهًا دقيقًا لوصف توتو العظيم لكنّني سأحاول، توتو يُشبه الرشفة الأولى من مذاق القهوة في صباح ساحِر، أو أنه أغنية مشهورة يردّدها الجميع حين بدأ الموسيقار بعزف الكوبليه الأول، وربّما الوصف الأكثر إنصافًا أنه حبّة الكرز التي تُزيّن قطعة راقية من الجاتوه الجميل.
نجلس مع توتو كل ليلة فيمطرنا بوصلات قصيرة وسريعة من الفُكاهة التي يقولها بسجيّته البيضاء فتخرج بعذريّتها دون اصطناع كما يفعل الآخرون، يعدّلونها وراثيًا ويضعون عليها المكياج لتستساغ، فُكاهة توتو رطبة وطازجة كالندى، يقول الأشياء بعفويّة دون اختلاق، كوميديا واقعيّة بلا تمثيل، خفّة دم عجيبة، وضحكات ساحرة مع صوت ثقيل، لكنّه جميل.

في غزّة الموت سريع جداً، محظوظ من يحظى بوداع صغير، فالوداع الصغير يؤجل الاشتياق الكبير

إذا بكى أبكي لأجله، وإن ضحك أضحك معه، توتو ميزان مشاعري، أفعل له ما يشاء ككطعة صغيرة من الحديد أمام مغناطيس، أميل حيث مال، وأثبت حيث ثبت، يسرق مشاعري بخفّة لِص ماهِر، يعرف الجميع أنه اللص الوحيد المسموح له أن يسرق، يسرق أحزان الناس ليضحكوا، ويسرق كآبتهم ليفرحوا، يا له من لِصّ جميل.
في اليوم المئة من الحرب قتله الاحتلال وأرسل روحه النديّة ضُحبة عائلته مُبتسِمة إلى السماء، وحدي ظللت تعيسًا وحزينًا، رحل توتو مع عائِلته سريعًا دون وداع، فالوداع كما أخبرتكم رفاهيّة الموت البطيء، توتو رحل سريعًا كومضة في الفضاء، فما من وقتٍ للوداع، رحلوا جميعًا مرّة واحدة، كأنهم ذاهبون في رحلة عائليّة إلى السماء.
أعرف توتو جيّدًا، لطالما رأيت ذلك في عينيه، يخاف الموت كثيرًا، ويكره سماع اسمه، ذات مرّة سأل والدته: هل سأموت في الحرب؟
- أجابته مُبتسِمة: لن تموت ستعيشُ طويلاً.
- قال خائِفًا: لكنّ الجميع يموتون.
- طمأنته: لكنّك ستعيش.

رحل توتو ولم يعِش طويلاً، أمّه لم تكُن تكذب، قصدت أنه سيعيشُ طويلاً في السماء، رحل صديقي توتو إلى الله ليشفى من مرض الأرض، فهو مُصاب بمتلازمة داون – منغولي - وهذا سِر جماله وجاذبيّته، الداونيّون جميلون جدًا، لا شيء يُعيبهم سِوى مُعيبهم، فرغم ثِقل لسانه، رأيته خفيف الرّوح، ورغم بساطة عقله، كان كبير القلب.
توتو لا يعرف سبب رحيله عن هذا العالم، ولا الذنب الذي رحل من أجله، أنا فقط من يعرِف السبب جيّدًا، رحل توتو لأن الاحتلال أراد الانتقام من الفرح بالحُزن، ومن السعادة بالتعاسة، توتو كان صديقًا للإنسانيّة فقتلوه، هذه هي الحقيقة، مهنة الاحتلال قتل الإنسانيّة واغتيال الحُب.
رحل توتو بروحه إلى السماء وظلّ جسده مُسجّى تحت الأنقاض، إذا مررت من حارتنا ستجد حجرًا كبيرًا مكتوبًا عليه «توتو تحت الأنقاض»، ألقِ عليه السلام.

رفح
07 أيار/ مايو 2024

ياسمين العابد شاعرة

عن رفح النازحة

رسم للفنان الفلسطيني من غزة رائد عيسى

ما زالت الحرب تنشب نيرانها في رحم المعاناة، حتى تمخّضت منها قصص البؤس والقهر والنزوح، حكايا تدثّرها خيام الهمّ والألم، وتمتطي صهوة العزم والإصرار للاستمرار في خوض المعركة، حتى لو كان الموت هو المفر من جحيم البقاء. الخيمة أصبحت حلم الجميع، وأصبح الحصول عليها في غاية الصعوبة، فكيف لا وهي تسرق من المخازن ويتم بيعها في الأسواق السوداء بأثمن الأسعار.
أعواد كبريت وشمعة نازح
في خيمة تهمي بدمع مالح
تذكي على قهر الرجال جهنمًا
والبرد يمخر في الفؤاد النائح
نحيا الجحيم بكل ألوان الأسى
مقتًا. وتنزف بالعتاب جوارحي

نفكر في عملية نزوح جديدة من مدينة رفح إلى مواصي خانيونس أو دير البلح، ولكن كيف ذلك؟ تدور في رأسي عشرات الأسئلة حول عملية النزوح، هل يوجد مكان آمن فعلًا؟ أين تتواجد هذه الأماكن بالفعل؟ هل وسائل المواصلات متوافرة وما هي طرق تأمينها؟ وكم هي أسعار النقل؟ هل تتوافر وسائل الحياة الأساسية مثل الماء والأسواق والمخابز في هذه الأماكن؟ العديد من الأسئلة باتت تنشلني من حالة الاستقرار إلى مواطن التيه، ولا إجابة لديّ سوى البقاء في دوامة العجز.
مشاهد النزوح، شاحنات النقل، عيون التشرّد، ودموع الكبرياء، كلّ ذلك ضمن تراجيديا الحرب التي تقودنا من قهر إلى قهر ومن وجع إلى موت بطيء. كلّ هذا كان كفيلًا بأن يقتلنا آلاف المرات، أيّ نكبةٍ هذه التي قتلت فينا روح الحياة، خسرنا فيها بيوتنا التي دفعنا أعمارنا وأحلامنا في بنائها وتأسيسها، ضاع البيت وضاعت حياة أطفالنا، تم قصف المدارس والمساجد والمخابز والمستشفيات والمرافق الحياتية بشتى أنواعها. ما الذي ينتظرنا خلف هذا الشقاء؟ أيّ بركان سيلفظنا بعد هذا الجحيم؟ ومتى سنعود كي نلملم ما تبقى منا؟
يا طينُ عد بي طفلة في صبحها
سحر الزنابق. صوتها نجواكا
تلقي السلام على الحياة بضحكة
حتى يبلسم خدّها كفاكا
ماذا تبدّى كي يبارحنا الشقا؟
وتثور آهي في جحيم نهاكا
ما عدت أقدر أن أواصل ثورتي
خذني إليكا فغايتي لقياكا

العجز ينهش في ضلوع الصبر، والجوع يلوك من لحمنا ويجرع من دمائنا دون شفقة، والخذلان يمتطي ظهر أمة لا تعرف للكرامة أيّ معنى، نعيش في تيهٍ لا خلاص منه سوى وحشة القهر والعجز والأسى. ما زالت عائلة زوجي في شمال غزّة، في مراكز الإيواء، لم يتبق لهم سوى الله ورحمته بهم، بعدما أنهكتهم الحرب ونالت من كبريائهم. ها هم ينتظرون رحلة نزوح جديدة إلى غرب غزّة، بعدما شهدوا المئات من المذابح وعانوا من القهر والجوع والمرض، ها هم يحملون ما تبقّى لهم من عزيمة للعود بحياة أطفالهم، لأنهم يعلمون جيدا غضبة الحرب ولوعتها، نالت منا الحياة، لم نعد نفكر فينا، في ملامحنا التي شاخت، في آمالنا التي احترقت، كل ما نفكر فيه هو موت بلا ألمٍ..

يا طين قل لي ما الذي أبكاكا
تجري على كف المنون دماكا
يا طين قل لي ما الذي أدمى المدى
فتخضبت من مقلتيه رُباكا

كلّ شيء تغيّر حتى تبدلت في أحداقنا الرؤيا، لم نعد ننظر للمرايا في زمن الشقاء، مرآتنا هي الأحداث التي تثبت لنا من هم أحبتنا، ومن هم أهالينا، تغيّر الوقت وتكدر العمر وشاخت ملامحنا ونحن ننتظر المصير. الصبر ينفذ، والعمر يمضي، والأحلام تضيع، ضاقت بنا السبل ولم يتبق لنا سوى البكاء والشكوى.

ظلّي الشريد يداري حرّ دمعته
وكم سفينٍ هوت في غيهب الحتف
من خيمتي لـ «المواصي» ظلّ يتبعني
وحش المنايا، ضياعُ الأهل والإلف
لا صبر عنديَ لا آمال، لا وطن
ما دمتُ أهرب من موتٍ إلى قصف

استيقظنا من جديد على أمل النزوح، قمنا بفك خيمتنا وطويها، وجمعنا أمتعتنا وكلّ ما نحتاجه للنزوح إلى مخيم النصيرات بعد رحلة عناء طويلة ومريرة قبل ذلك في رفح التي وصلناها من شمال غزة. ولكنها إرادة الله فوق كل شيء، تم نشر بعض الأخبار عن عمليات نزوح من دير البلح والنصيرات إلى الجنوب، ولا نعلم مدى صحة هذه الأخبار، ولكننا أخذنا قرارنا، فطالما هناك خطر، فالبقاء في رفح هو الأفضل، ولا مفر من الموت مهما طال هروبنا.

يا لهف قلبي. فهذا الموت أترعنا
وضجّت الآه. يكفي طيرنا ذُبحا
جهنم العجز آمال قد احترقت
وفيلق الشر في أرجائنا نبَحا
كيف الخلاص؟ أغيثوا ضعف أمتنا
أين الملاذ؟ فجور النائبات رحى
خيّم الهدوء على مدينة رفح، من بعد ما كانت تعج بمئات الآلاف من النازحين، أصبحت خالية تقتلها الوحدة والخوف وهي تنتظر الموت البطيء. أعانقها وأعانق حزنها الذي يشبهني تمامًا، وحيدتان نحن تجمعنا القضية ويهزنا لون الدم وتشتتنا مناشير الاحتلال التي تلزمنا بالنزوح ولكن إلى أين وقد ضاقت بنا السبل.

دمعي على وجه المجرة قد جرى
حتى تشظّى في المحاجر وانبرى
ضجّت به سحب النوائب:كيف لي
أن تثخن الأوجاع غيثي يا ترى؟

عادت رفح لتلفظ أنفاسها الأخيرة، فهي الآن ترنّم ألحان البقاء، برغم ما يعصف بها من موت. ما زلت وعائلتي في منطقة تل السلطان، التي نالها القصف المتوالي، ولكنها مازالت بعيدة نوعًا ما عن آليات الاحتلال ودباباتهم، مازلنا ننتظر إلقاء المناشير علينا من طائرات الاحتلال كما حدث في السابق للاستمرار في رحلة النزوح من جديد. لم يعد هناك طوابير مياه، ولا ازدحام في السير، فمعظم أحبتنا غادروا المدينة إلى صحراء خالية تضمهم بقهر وتعصفهم بوحشتها وهموم جديدة..

فما جزعت عيون القلب لكن
بموتٍ هزّ للأحباب جذعي
أنا الزيتون مثل الطود باقٍ
وإن راموا من الأعماق قلعي
وهذي الحرب خاتمة المراثي
تئن جوارحي ويضجّ سمعي
ولكن عزّتي في الحق تأبى
على الأنذال أن يهْنَوا بقمعي

أتأمل في زوايا الخيمة، وأسافر في دنيا اللاشيء عبر أجنحة المستحيل، علّي ألاقي منفذًا جديدًا إلى الحياة، ولكن لا أجد في الأفق سوى المجهول. الخوف من المجهول، هو أعتى الأعداء وأشد فتكًا من أسلحة اليهود وأعنفها. الخوف على الأولاد، على الأهل، على الذات، على الأحلام التي اندثرت مع أنقاض ودماء الشهداء. أتأمل في عيون الناس، في صراخ المكلومين، في شهقات الثكالى، في نواح طفولة دفنت قبل أن تمارس حقها في اللعب في الحلم والحياة. يا لهذا البؤس الذي لم يرحمنا، وجعلنا كالدمى في أيدي الشقاء، يارب رحمتك، عفوك، ولطفك بنا وبجراحنا الهادرة.
بدأ العد التنازلي، وها هو التصعيد بدأ من جديد، رفح في آخر شهقاتها المتنازعة.
فهل ستصمد أكثر؟ أم تموت بصمت قاتل؟!

يطوّق الموت في أحداقه ذاتي
ولا عزاء لمثلي بالمواساة
كفّاهُ تنكأُ جرحي ثم تبرحه
كدميةٍ تحت أقدام الصغيرات
يدق فوق نواصي الذعر ماردُه
بمخلب قد تمادى في عذاباتي
لا موت يأتي على شوق ليعتقني
كالطير أنشج من جمر أحتراقاتي

وكأن هذا الكابوس لا يريد أن ينتهي، نمضي به من هاجس إلى هواجس أشد عنفًا من سابقتها. كابوس نزع من حياتنا بهجتها واستقرارها، تركنا في صحراء الضياع، نكفكف أوجاعنا بالصبر، ونواسي مصائبنا بالفرج القريب.

وضاق بي الكون لولا كنت أحسبه
ضربًا من العيش لا قبرًا لآهاتي
إنّي حملت همومًا ليس يدركها
رأس الجبال ولا صدر السماوات
والدمع يهمل ملء العين منتظرًا
كفّ المنون توافيني نهاياتي

كم ستأخذ هذه اللعنة من عزيمتنا، من أحبتنا، من ملامحنا، التي تكسّرت مرآتها المرفهة مع أول طبول الحرب، حتى ألواننا تغيرت وتكدرت، لم نعد نحن أنفسنا، ولم نعد نشبهنا. نسينا كلّ أساسيات الحياة، وتأقلمنا مع حياتنا الجديدة، تدثرنا ثياب البؤس والشقاء، واتكأنا على عصا الصبر، لعلّ النور يفج إلى أغوار الألم من جديد، ونستيقظ على صباح أجمل، ولكنه ليس كابوسا.

حربٌ اقتلعت غزة من جذورها، وأغرقها وأغرقتنا ونالت من أحلامنا المتهالكة التي لن تقوى على لملمة أشلائها من جديد..

إلى أين أيتها الحرب؟ إلى أين أيتها اللعنة؟
نواجه الموت بقلوب متشوقة صادقة لينتهي هذا العناء.
لم نعد نحتمل المزيد، لم نعد نقوى على البقاء..
ما عدت أقوى على الأوجاع يا بلدي
هبْ لي جناحًا وخذني للمدى الآتي
شواطىء البؤس ضجت في مدى رئتي
لتهدر الروحُ: كفّوا عن جراحاتي
صبري على ضفّة الآلام منهزم
شاخت رؤاه فدقّ اليأس ساعاتي

يا لهذا الموت الذي لم يعد يفارق مخيلتي، ولكن هل سيكون موتًا قاسيًا غادرًا، أم سيكون موتًا رحيمًا؟ وأيّ رحمة ننتظرها من هذه الحرب الشرسة الهمجية الشرسة.
إلى أين؟ وحتى أين؟ ومتى؟ وكيف؟
لا إجابة سوى العجز

كأن هذا الكابوس لا يريد أن ينتهي، نمضي به من هاجس إلى هواجس أشد عنفاً من سابقتها